

سبيل المؤمنين

في أسباب النصر والتمكين

الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد الصباغ




www.alukah.net

سبيل المجاهدين
في أسباب النصر والتمكين

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ


شبكة الألوكة - قسم الكتب







مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فالناظرُ إلى حالِ المسلمين يرى أنهم صاروا أمةً ضعيفةً مستضعَفةً، يحتقِرُها الكفارُ والزنادقةُ من اليهود والنصارى



والشيوعيِّينَ وغيرِهم، بعد أن كانوا سادةً وقادةً وغُزاةً فاتحين مُمَكَّنينَ في أرضِ اللهِ، وما وصل المسلمون إلى هذا المنحدرِ السحيقِ إلا بشؤمِ تخلِّيهِم عن دينِهم، وتشبُّهِهِم في كثيرٍ من مناحي حياتِهم باليهودِ والنصارى والمشركين.

فالعبدُ على قدرِ طاعتِه للهِ وقيامِه بحقِّ دينِه يُعِزُّه اللهُ، وينصُرُه على عدُوِّه، وعلى قدرِ معصيتِه لربِّه وإخلالِه بحقِّ الدينِ يخذُلُه ويمكِّنُ منه عدوَّه.

ولذلك لا نصرَ ولا عِزَّ للمسلمين إلا إذا حقَّقوا شروطَ النصرِ والتمكينِ التي ذكرها اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه وسُنةِ رسولِه ﷺ.

وهذا بحثٌ مختصَرٌ لبيانِ شروطِ النصرِ والتمكينِ التي إذا حقَّقَها المسلمون عاد لهم مجدُهم وعِزُّهم، وانتصروا على عدوِّهم، ورضِيَ عنهم ربُّهم، وهذا سنُبيِّنُه في السطورِ الآتيةِ بمشيئةِ الله تعالى، واللهُ من وراءِ القصدِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أسباب النصر على الأعداء والتمكين لهذه الأمة

بيَّن اللهُ تعالى في كتابِه أنَّ الكفارَ والمشركين والمنافقين على اختلافِ مِلَلِهم ونِحَلِهم لا يألونَ جُهدًا في القضاءِ على الإسلامِ والمسلمين، وبيَّن عداوتَهم الدائمةَ إلى يومِ الدِّينِ، فقال سبحانه وتعالى: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [البقرة:١٢٠]، وقال: {۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ} [المائدة:٨٢]، وقال: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ} [البقرة:٢١٧]، وقال: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ} [الكهف:٢٠].

فالكفارُ لا يرضونَ مِن المسلمين إلا أحدَ أمرين: إما أن يقتلوهم، أو يردُّوهم عن الإسلام.

ولذلك أمر اللهُ المسلمين أن يُجاهدوا الكفارَ والمشركين والمنافقين، وأن يُغلِظوا عليهم، فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ



ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾} [التوبة:٧٣].

وقال كذلك: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [الحج:٣٩-٤٠].

وجعل اللهُ تعالى أسبابًا لنصرِ المسلمين على أعدائِهم، وبيَّنها سبحانه بيانًا شافيًا في القرآنِ الهادي المبين، والتي إذا تمسَّك بها المسلمون وأخذوا بها فإنَّهم هم المنصورون الغالبون.

ونذكرُ هذه الأسبابَ باختصارٍ على النحوِ الآتي، وبخاصةٍ في هذا الوقتِ العَصيبِ الذين اجتمعت وتَحَزَّبت فيه قوى الكفرِ من اليهودِ والأمريكان والأوروبيِّين، وجاؤوا ببوارجِهم وسُفُنِهم الحربيةِ، ومركَباتِهم الهجوميةِ، وطائراتِهم القتاليةِ والمُسَيَّرةِ، وصواريخِهم الفتَّاكة، وغيرِ ذلك من السلاحِ الذي جاؤوا به في



أبهى زينةٍ لإرهابِ أهلِ الإسلام، وجيشِ الإسلامِ من أهلِ مصرَ وغيرِها، وقد عمِلوا على تدميرِ جيوشِ الدولِ العربيةِ والإسلاميةِ في السنواتِ الماضيةِ؛ حيث دمَّروا جيشَ العِراقِ، وجيشَ سوريَّا، وليبيا، والسودانِ، ولبنانَ، وفلسطينَ، واليمنِ، وغيرَها من الجيوش؛ لكنَّ الله تعالى حفظ جيشَ مصرَ من كيدِهم ورعاه، وقد جاؤوا الآن خِصِّيصًا لتدميرِ الجيشِ المصريِّ وتفكيكِ الدولةِ المصريةِ، دولةِ القرآنِ والسُّنةِ والأزهرِ والكتاتيبِ، وإن شاء اللهُ ستكونُ أرضُ مِصرَ مَقبَرةً لهم، ويُذبَحون كالخِرافِ على يدِ جندِ الإسلامِ المصريين.

ونذكرُ أسبابَ النصرِ على الأعداءِ وأسبابَ التَّمكينِ للمسلمين الواردةَ في القرآنِ الكريمِ، وذلك على النحوِ الآتي:

١ - أن ينصُرَ المسلمون ربَّهم:

ولا يكونُ ذلك إلا بإقامةِ الدِّينِ في نفوسِهم ونفوس غيرِهم علمًا وعملًا واعتقادًا، بطاعةِ اللهِ فيما أمرَ، والانتهاءِ عما نهى، بالإيمانِ والعملِ الصالحِ والدعوةِ إلى اللهِ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ وإقامةِ حدودِ اللهِ في كلِّ ما أمر.

قال اللهُ تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧} [محمد:٧]، وقال تعالى: {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١} [الحج:٤١،٤٠].

فاللهُ تعالى ينصُرُ المؤمنين بقوتِه وعِزَّتِه ويثبِّتُ أقدامَهم إنْ أقاموا الصلاةَ، وأتَوُا الزكاةَ، وأمروا بالمعروفِ، ونهَوا عن المنكرِ، كما أمر الله ﷻ، وكلُّ هذا من نصرِ اللهِ لدينِه، وكلُّ الأسبابِ الآتيةِ هي من نصرِ المسلمين لربِّهم.



٢- أن يحقق المسلمون الإيمانَ الكامل كما أمرهم اللهُ به:

والإيمان: قولٌ باللسانِ، وإقرارٌ بالقلبِ، وعملٌ بالجوارح.

وله أركانٌ ستَّة أمرنا اللهُ ورسولُه ﷺ بها: أن نؤمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسُلِه، واليوم الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه. ونسعى بالجدِّ والاجتهادِ في تحقيق شُعَبِه، كما قال رسول الله ﷺ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**[(١)].

قال الله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾} [الروم:٤٧]، وقال سبحانه: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾} [غافر:٥١]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ} [الحج:٣٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).





وقال: {وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩} [الأنفال:١٩]، وقال: {وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١} [النساء:١٤١].

فإذا حقَّق المسلمون هذا الإيمانَ؛ نالوا نصرَ اللهِ لهم ومحبَّتَه الخاصةَ لهم، والتوفيقَ والسَّدادَ والهدايةَ والرَّشادَ، والنصرَ على الأعداء، وعدمَ تسلُّطِ الكافرين عليهم، وكانوا جديرين بدفاعِ اللهِ عنهم.

٣- تحقيق التوحيد وعدم الشِّرك بالله تعالى:

التوحيدُ هو إخلاصُ العبودية لله تعالى، كما قال الله سبحانه: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥} [البينة:٥]، وقال: {وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١١٤} [النساء:١١٤]، وقال سبحانه: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨} [الذاريات:٥٨]؛ أي: وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليُخلصوا العبوديةَ لي وحدي، ولا يشركوا بي شيئًا،



فإن فعلوا ذلك رزقهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا، وقوَّاهم ونصَرَهم على أعدائهم، ومكَّن لهم في الأرضِ، ومنحهم الأمنَ الكامل والهداية الكاملة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

وقال سبحانه: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢،٨١]؛ أي: أنَّ الذين آمنوا وأخلَصوا دينَهم للهِ ولم يَخْلِطوا إيمانَهم بِشركٍ هم الآمِنون المنصورونَ المهتدون في الدنيا والآخرة.

أما إذا أشركَ المسلمون بربِّهم، وصَرَفوا عملَهم لغيرِ اللهِ بأنواعِ الشركِ الأكبرِ أو الأصغرِ؛ فلن ينالوا وعدَ اللهِ بالنصرِ والتمكينِ والأمنِ الكاملِ والاستخلاف في الأرض.

فالنصرُ والتمكينُ والاستخلافُ في الأرضِ وكمالُ الأمنِ والأمانِ ثمرةٌ من ثمراتِ التوحيدِ وإخلاصِ العبوديةِ للهِ ربِّ العالمين وتحقيقِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ.

فعلى قدرِ كمالِ التوحيدِ وكمالِ الإيمانِ يكونُ النصرُ والتمكينُ، وعلى قدرِ نقصِ التوحيدِ ونقصِ الإيمانِ بارتكابِ الشركِ والمعاصي والبدعِ، يغيبُ النصرُ والتمكين؛ بل يكونُ ذلك سببًا في الهزيمةِ والذلِّ، قال تعالى: {وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾} [الشورى:٣٠].

ولذلك حذَّر اللهُ سبحانه وتعالى من خروجِ المسلمين للجهادِ رياءً وسُمْعةً، فقال: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾} [الأنفال:٤٧].

وقد أكَّد اللهُ تعالى لزومَ الإخلاصِ في الجهاد؛ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، لا لعصبيةٍ، ولا لحَميَّةٍ، ولا لِرياءٍ، ولا لِسُمعةٍ، ولا لِمَغنمٍ، قال سبحانه وتعالى: {وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ

ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾} [البقرة:٢٤٤]؛ أي: سميعٌ لأقوالِكم، عليمٌ بنِيَّاتِكم، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[١].

وسُئل النبيُّ ﷺ عن الرجلِ يقاتِلُ حَميَّةً، والرجل يقاتِل للمَغنمِ، والرجلِ يقاتِلُ ليُرَى مكانُه، فمَن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﷻ»[٢].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: سُئِل رسولُ اللهِ ﷺ عن الرجلِ يقاتِل شجاعةً، ويقاتِلُ حَمِيَّةً، ويقاتِلُ رِياءً، أيُّ ذلك في سبيلِ اللهِ؟ فقال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﷻ».

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ مِن أعظمِ أسبابِ دخولِ النارِ الخروجَ للجهادِ ضدَّ الكفارِ؛ طَلَبًا للرياءِ والسُّمعةِ والشُّهرةِ، فقال ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ مَن تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ ثلاثةٌ**». وفي لفظ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ**

---

[١] أخرجه البخاري (١).

[٢] أخرجه البخاري (١٢٣).



الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (١٩٠٥).



٤ - تحقيق المسلمين تقوى اللهِ تعالى كما أمر:

وتحقيقُ تقوى اللهِ تعالى يكونُ بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، ولزومِ خشيةِ اللهِ تعالى بالغيبِ والشهادةِ، فإذا حقَّقَ المسلمون تقوى اللهِ تعالى نالوا مَعيَّةَ اللهِ ونصرَه وتأييدَه، قال اللهُ تعالى: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾} [البقرة:١٩٤]، وقال سبحانه: {وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾} [طه:١٣٢]، وقال: {إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾} [الأعراف:١٢٨].

وقال: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص:٨٣].

وقال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق، الآيتان:٢،٣]، وقال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾} [الطلاق، الآية:٤].



٥- الاتحادُ على الحقِّ ونَبْذُ الفُرقةِ والاختلاف:

سِرُّ قوةِ المسلمين في اعتصامِهم واجتماعِهم على الكتابِ والسنةِ بفهمِ سلفِ الأمةِ وهم النبيُّ ﷺ وأصحابُه، قال اللهُ تعالى: {وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا} [آل عمران:١٠٣]

وافتراقُ المسلمين يُورِثُ العداءَ والضغائنَ بينهم، وإذا صاروا أعداءً متحاسدِينَ تفرَّقوا، وإذا تفرَّقوا صاروا ضعفاءَ، وإذا ضَعُفوا صاروا فريسةً سهلةً للكفارِ والمشركين والمنافقين، وإذا صاروا كذلك استطاع العدوُّ هزيمتَهم وإفسادَ دينِهم ودنياهم، {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾} [الأنفال:٤٥]؛ ولذلك قال اللهُ تعالى: {وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾} [الأنفال:٤٦]؛ أي: إذا تنازع المسلمون واختلفوا وتفرَّقوا فَشِلوا في مواجهةِ عدوِّهم وذهبت قوتُهم وهيبتُهم



ودولتُهم وتجرَّأَ عليهمُ الكفارَ وداسوهم بنِعالِهم.

وقد ضرب اللهُ لنا المثَلَ بالعنكبوتِ في ضعفِه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت:٤١]؛ وسببُ وَهْنِ بيتِ العنكبوتِ أن العناكبَ أمةٌ يأكلُ بعضُها بعضًا، فالأنثى تأكلُ ذكَرَها، والصغيرُ يتعدَّى على الكبيرِ، وهكذا المسلمون؛ إذا أكلَ بعضُهم بعضًا، ولم يحترِمْ صغيرُهم كبيرَهم، وأُنثاهم ذكرَهم؛ صاروا أُمَّةً هَزِيلةً فريسةً لكلِّ مفترسٍ.

وحتَّى لا يختلفَ المسلمون ولا يتفرَّقوا أمَرَهم اللهُ أنهم إذا اختلَفوا في شيءٍ أن يرُدُّوه إلى حكمِ اللهِ ورسولِه وإلى علمائِهم يستنبطون لهم الأحكامَ من الكتابِ والسُّنةِ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

فاللهُ سبحانه وتعالى يحِبُّ أن يكونَ المسلمون صفًّا واحدًا فيما بينهم، وأن يكونوا يدًا واحدةً أمامَ عدُوِّهم، وهذا من أعظمِ



أسبابِ النَّصرِ والقوةِ والشجاعةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف:٤].

ولذلك لمَّا هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ آخى بينَ الأوسِ والخزرجِ، وأصلح بينهم، وأزال العداواتِ الجاهليةَ التي كانت بينهم، ثمَّ آخى بين المهاجرين والأنصار.

وجعل المسلمين جميعًا صفًّا واحدًا وقلبًا واحدًا على التوحيد والإيمانِ والسُّنة، فكان سِرُّ قوتِهم في وحدتِهم والتأليفِ بين قلوبِهم على الكتابِ والسُّنة، وهذا كلُّه بفضلِ اللهِ ورحمتِه، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال:٦٣].

فالنبيُّ ﷺ والمسلمون أخذوا بالأسباب، والله ﷻ وفَّقهم وجمَعَهم وقوَّى شوكتَهم برحمتِه.



٦- إصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين:

الشيطان قد أَيِسَ أن يعبُدَه المسلمون المُصلُّون؛ ولكنَّه رضِيَ بالتحريشِ بينهم بإيقاعِ التحاسُدِ والضغائنِ والاختلافِ بينهم؛ لأن هذا من أعظمِ أسبابِ ضعفِ المسلمين وسوءِ حالِهم وتجرُّؤِ عدُوِّهم عليهم، فأرشَدَ اللهُ تعالى في القرآنِ العظيمِ إلى أنَّ الإصلاحَ بين المسلمين وجمعِ شَمْلِهم مِن أعظمِ أسبابِ النصرِ والتمكينِ؛ بل ومن أعظمِ أسبابِ نُزولِ الرحمةِ على المؤمنين، قال سبحانه وتعالى في أولِ سورةِ الأنفالِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال:١].

وهنا ذكرَ اللهُ إصلاحَ ذاتِ البينِ بينَ أمرينِ مُهمَّينِ عظيمَينِ، وهما: الأمرُ بتقوى اللهِ، والأمرُ بطاعةِ اللهِ ورسولِه ﷺ؛ وذلك لِيُبيِّنَ سبحانه أنَّ الإصلاحَ بين المسلمين طاعةٌ للهِ ورسولِه ﷺ وتقوى للهِ ربِّ العالمين، وهو دليلٌ على التقوى والطاعة للهِ ﷻ.





فإصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين من أعظمِ أسبابِ نزولِ رحمةِ اللهِ عليهم ونصرِهم على الأعداءِ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ من الكفارِ والمنافقين.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟**». قالوا: بلى. قال: «**صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ**». ويُروَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ؛ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

فجمعُ كلمةِ المسلمين بالإصلاحِ بينهم جهادٌ عظيمٌ وقوةٌ على أعداءِ الدينِ، وأفضلُ عندَ اللهِ تعالى من صلاةِ النافلةِ، وصدقةِ النافلةِ وصيامِ النافلةِ؛ لذلك قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾؛ أي: وَفِّقوا بينهما، ولا

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٥٠٩).



تجعلوهما فريسةً للشيطانِ، {فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ}؛ أي: قاتلوا الباغيَ الظالمَ حتى يعودَ ويرجعَ للحقِّ، ولا يُضعِف قوةَ المسلمين، {فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩} [الحجرات:٩]؛ أي: لا بد من إصلاحِ ذاتِ بَينِ المسلمين، حتى يصلُحَ حالُهُم فيما بينهم، ويَصلُحَ لهم دينُهُم ودنياهم، فيكونون قوةً على عدُوِّهم.

٧- لزوم طاعة ولاة أمور المسلمين، وألَّا ننازعَ الأمرَ أهلَه:

الملكُ للهِ يؤتيه مَن يشاءُ، قال تعالى: {وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧} [البقرة:٢٤٧]، وقال سبحانه: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦}

[آل عمران:٢٦].

وقد أمر اللهُ تعالى بِلُزومِ طاعةِ وُلاةِ الأمرِ في طاعتِه، فإن أَمَروا بمعصيةٍ فلا نُطيعُهُم في معصيةِ اللهِ، ولا ننزِعُ يدًا مِن طاعتِهم، ولا

نُثيرُ الناسَ عليهِم، ولا نَخرُجُ عليهِم بأيِّ طريقةٍ؛ بل نصبِرُ كما أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ.

قال اللهُ تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [النساء: ٥٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[١].

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ أنَّ النبيَّ ﷺ أخذَ عليهِم البَيْعةَ، فكان فيما أخذَ علينا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[٢].

وذلك لأنَّ شياطينَ الإنسِ والجنِّ من اليهودِ والنصارى والمنافقين يَؤُزُّون ضِعافَ النفوسِ للخروجِ على حكامِ المسلمين وإثارةِ الفتنِ وزعزعةِ النظامِ؛ ليصيرَ الناسُ فوضى، يأكلُ بعضُهم

---

[١] أخرجه (٧١٤٢).

[٢] أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).



بعضًا، فيُنزَعُ الأمنُ والأمانُ؛ لأنه إذا ضاعت هَيْبَةُ العلماء ضاعت هيبةُ الدِّين، وإذا ضاعت هيبةُ الأُمَراءِ ضاعت هيبةُ الدنيا والدِّين.

فأعداءُ الدِّينِ يُحرِّضون الناسَ على تغييرِ حُكَّامِهم لأسبابٍ وهميةٍ بدعوى أنَّهم أحَقُّ بالمُلك من هؤلاءِ الحُكَّام، وهكذا كما قالت بنو إسرائيلَ من قبلُ لنبيِّهم لمَّا وُلِّيَ عليهم طالوتُ ملِكًا: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧﴾ [البقرة:٢٤٧].

فالخروجُ على وُلاةِ الأُمورِ ومنافسَتِهم على السُّلطةِ يُهلِكُ الأمةَ ويُضعِفُها، وقد رأينا بأعيُنِنا ما حدث فيما يُسمَّى بـ(ثوراتِ الربيعِ العربيِّ) التي أشعَلَ نارَها اليهودُ والنصارى والمَجوسُ؛ من الأمريكانِ، والأوروبيِّينَ، والروافضِ الإيرانيِّين، والشيوعيين، والعلمانيِّين، مستخدِمينَ الجماعاتِ الخارجيةَ الضَّالةَ؛ للخُروجِ على حُكَّامِ الدولِ العربيةِ المسلمةِ، وكيف كانت النتيجةُ؟!



لقد كان الخرابُ، وسفكُ الدِّماءِ وهتكُ الأعراضِ، ونَهبِ الأموالِ، وحرقُ المُنشآتِ، وهدمُ مُقدَّراتِ الدُّوَل، وهدمُ الجيوشِ العربيةِ الإسلاميةِ، كما حصل في سوريَّا، وليبيا، واليمن، وفي السودان مؤخَّرًا، وفي غيرِ ذلك، فهذه هي مُحصِّلةُ الخروجِ على وُلاةِ الأمرِ.

وصناعةُ الثَّوراتِ والمظاهراتِ فيها ضياعٌ للأمَّةِ، وإضَعافُ لها، وتُمكِّنُ الكفَّارَ من نَهْبِ ثَرواتٍ المسلمينَ، وتدميرِ دينِهم، وقتلِ رجالِهم وعُلَمائِهم؛ بل وأطفالِهم ونسائِهم.

وإنَّ من شروطِ وضوابطِ الجهادِ الشرعيِّ أن يكونَ تحت رايةِ وليِّ الأمرِ، وهذا بإجماع أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وذلك لقول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ**»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٤١).





وقال اللهُ سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ} [التوبة:٣٨]؛ والذي يدعو للنَّفِير ضدَّ العدُوِّ هو وليُّ أمرِ المسلمين.

وقال اللهُ سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ} [البقرة:٢٤٦]، فلا بدَّ للجهادِ من أميرٍ يَمْلِكُ أمرَه ونهيَه، ويقومُ بتنظيمِ الجيوشِ ونحوِها.

قالَ اللهُ تعالى عن النبيِّ محمدٍ ﷺ: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾} [آل عمران:١٢١]

فالذي ينظِّمُ الصفوفَ ويضعُ الخُطَطَ، وينسِّقُ الجهودَ: هو القائدُ وليُّ الأمرِ.

وعلماءُ الحقِّ أزهدُ الناسِ في الدنيا، وأنصحُ الناسِ لوُلاةِ الأمورِ بالدعاءِ لهم بالتَّوفيقِ والسَّدادِ، وبِنُصْحِهِم إن تمكَّنوا منَ الدُّخولِ عليهم، ومِن هؤلاءِ العلماءِ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمه الله، الذي قاتلَ التتارَ خلفَ رايةِ وُلاةِ الأمورِ، ومنهم الناصرُ محمدُ بنُ

قلاوون، وقد قام بعضُ الحُسَّادِ لشيخِ الإسلامِ بالوشايةِ عندَ الناصرِ بنِ قلاوون بأنَّ شيخَ الإسلامِ يُثيرُ الناسَ عليه؛ ليأخُذَ المُلكَ لنفسِه، فصارحَه بذلك الناصرُ ابنُ قلاوونَ، فقال شيخُ الإسلام: **أنا أفعَلُ ذلك؟! واللهِ، إنَّ مُلْكَكَ ومُلْكَ المَغولِ لا يساوِي عندي فَلْسَينِ.**

فقال السلطان: إنكُ واللهِ لصادقٌ، وإنَّ الذي وشى بكَ إليَّ كاذِبٌ[1].

فمِن أعظمِ أسبابِ النصرِ اجتماعُ الكلمةِ، وعدمُ التنازُعِ والتفرُّقِ، والالتفافُ حولَ وُلاةِ الأمرِ صفًّا واحدًا، وإصلاحُ ذاتِ البَينِ.

---

(١) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص٧٢-٧٣.



٨- إعداد ما يُستطاع مِن قوةٍ ومِن رباطِ الخيل:

الإسلام دينُ العِزَّةِ والقوةِ والكرامةِ والعدلِ والسلامِ والإحسانِ والرحمةِ، ولا يَرضَى لأهلِهِ الذِّلَّةَ والضعفَ والمَهانةَ أمامَ عدُوِّهِم، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [آل عمران:١٣٩]، وقال سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾} [المنافقون:٨].

ولذلك أمر اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين أن يأخذوا بأسبابِ النصرِ والتَّمكينِ على أعدائِهم الذين يسعَوْنَ في إهلاكِهم وإبطالِ دينِهم، فقال سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾} [الأنفال:٦٠].

قال الشيخ محمدُ بنُ ناصرِ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أي: وأعِدُّوا لأعدائكم الكفارِ الساعينَ في هلاككم وإبطال دينكم {مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}؛ أي: كلَّ ما تَقدِرُونَ عليه من القوَّةِ العقليَّةِ



والبدنيَّةِ وأنواعِ الأسلحة ونحو ذلك مما يُعِينُ على قتالهم، فدخل في ذلك أنواعُ الصناعات التي تُعمَل منها أصنافُ الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدَّم المسلمون، ويندفِعُ به عنهم شرٌّ أعدائهم، وتعلُّم الرمي، والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**»[(١)].

ومن ذلك الاستعدادُ بالمراكبِ المُحتاجِ إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهذه العلة موجودةٌ في ذلك الزَّمان، وهي إرهابُ الأعداءِ، والحُكمُ يدورُ مع علتِه، فإذا كان هناك شيءٌ أكثرُ إرهابًا فيها- كالسياراتِ البريَّةِ والمركبات الهوائيةِ المُعدَّةِ للقتالِ التي تكونُ النِّكايةُ فيها أشدَّ- كُنَّا مأمورِينَ بالاستعدادِ بِها، والسعيِ

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧).



لتحصيلِها؛ حتى إنَّها إذا لم توجَدْ الا بتعلُّمِ الصناعةِ وجب ذلك؛ لأنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.

وقوله تعالى: {وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ} ممَّن يتربَّصُونَ بكم بعدَ هذا الوقتِ الذي يُخاطِبُهم اللهُ به، {لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ}، فلذلك أمرَهم بالاستعدادِ لهم.

ومن أعظمِ ما يُعِينُ على قتالِهم بذلُ النَّفَقاتِ الماليةِ في جهادِ الكفارِ، ولهذا قال اللهُ مُرَغِّبًا في ذلك: {وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ} قليلًا أو كثيرًا، {يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} أي: يُوَفَّ إليكم أجرُه يومَ القيامةِ مُضاعَفًا أضعافًا كثيرةً، حتى إن النفقةَ في سبيلِ اللهِ تتضاعَفُ الى سَبعِ مِئةِ ضعفٍ الى أضعافٍ كثيرة، {وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}؛ أي: لا تُنقَصُون من أجرِها وثوابِها شيئًا[١]. اهـ.

فالقوةُ لحمايةِ الإسلامِ والمسلمين مطلبٌ شرعيٌّ؛ لأنه لا بدَّ

---

[١] انظر: تفسير السعدي (ص٣٢٤).



لِقِوامِ هذا الدِّينِ من كتابٍ هادٍ وحديدٍ ناصرٍ؛ أي: لا بدَّ من كتابٍ وسُنَّةٍ يَهتدي الناسُ بهَدْيِهِما، ومن سيفٍ وسلاحٍ يؤمِّنُ هذا الكتابَ، ويحمي بيضةَ الإسلامِ والمسلمين، سواءٌ لجهادِ الطلبِ أو لجهادِ الدفعِ، قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

قال السعديُّ رحمه الله: قَرَن اللهُ تعالى في هذا الموضعِ بين الكتابِ والحديدِ؛ لأنَّ بهذينِ الأمرينِ ينصُرُ اللهُ دينَه، ويُعلِي كلمتَه بالكتابِ الذي فيه الحُجَّةُ والبُرهانُ، والسيفِ الناصرِ بإذنِ الله، وكلاهما قيامُه بالعدلِ والقسطِ، الذي يُستدَلُّ به على حِكمةِ الباري وكمالِه وكمالِ شريعتِه التي شرَعَها على ألسنةِ رُسُلِه[1].

ولذلك حرَصَ النبيُّ ﷺ على أن يحُثَّ أُمَّتَه على تعلُّمِ الرِّمايةِ وفنونِ القتالِ؛ فعن عقبةَ بنِ عامرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ

[1] انظر: تفسير السعدي (ص٨٤٢).

عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[(١)].

وحثَّ على صناعةِ السِّهامِ التي يُضرَبُ بها في نُحورِ العدوِّ، فقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ الْمُحْتَسِبَ فِيهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ، فَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَلَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ تَرْكَبُوا، وَلَيْسَ مِنَ اللهْوِ إِلَّا ثَلَاثٌ: مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ، وَمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الرَّمْيَ فَتَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَنِعْمَةً كَفَرَهَا»[(٢)].

وعن سَلَمَةَ بنِ الأكوعِ رضي الله عنه قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على قومٍ يَنتَضِلُونَ، فقال: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ». قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ

[(١)] أخرجه مسلم (١٩١٧).

[(٢)] أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، وأحمد (١٧٣٢١).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ**». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ. قَالَ: «**ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ**»[(١)].

فقد كان ﷺ يرمي بنفسِه ويشاركُهم ويشجعُهم؛ لأن الرميَ وسيلةُ جهادِ الكفار.

وعن عمرِو بنِ عقبةَ رضي الله عنه، قال: حَاصَرْنَا قَصْرَ الطَّائِفِ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَهُ عَدْلُ مُحَرَّرٍ، وَمَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ**». فَبَلَغْتُ فِي يَوْمٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا[(٢)].

وعن كعب بن مُرَّة عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَمَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ رَفَعَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً**». فقال عبد الله بن النحام: وما الدرجةُ يا رسول الله؟ قال: «**أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِئَةُ عَامٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٦١٦).

(٣) أخرجه النسائي (٣١٤٤)، وأحمد (١٨٠٦٣).

وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال لسعدِ بن أبي وقاصٍ يومَ أُحُدٍ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[(١)].

وهذا مما يدلُّ على رفعة قدرِ الرامي، فالنبيُّ ﷺ لم يجمع والِدَيْه لأَحَدٍ إلا لهذا الرامي في سبيلِ اللهِ؛ دفاعًا عن رسولِ اللهِ ﷺ ودينِه.

٩- الصبر والثبات عند الجهاد ولقاء العدو:

الصبرُ هو سبيلُ النجاحِ والوصولِ للهدفِ في أيِّ عملٍ من الأعمال، والصبر عند لقاء العدُوِّ ومقابلته من أسبابِ النصرِ على الأعداء، قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال:٤٥،٤٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٥)، ومسلم (٢٤١١).

يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾} [الأنفال:٦٥،٦٦].

فبالصبرِ يغلبُ المسلمون، وينتصرون، وينالون معيَّةَ اللهِ الخاصَّة لهم بالنصرِ والتأييدِ والحفظِ والسَّدادِ والتوفيقِ والصلاحِ والهدايةِ والفوزِ بخيري الدنيا والآخرة.

وقال سبحانه عنِ الفئةِ الصابرةِ عند اللقاءِ: {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾}

[البقرة:٢٤٩-٢٥٠].

فسألوا اللهَ الصبرَ والثباتَ فاستجابَ لهم ومنَحَهم الأمرين، فنصرَهم اللهُ بإذنه وفضْلِه وحولِه وقوتِه، ولذلك قال النبيُّ ﷺ:

«وَاعْلَمْ أنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[(١)].

وقال سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾} [آل عمران:٢٠٠]، فمَن لزِمَ الصبرَ والرِّباطَ والتقوى كان من المُفلِحين المنصورين، ونال مَعيَّةَ اللهِ تعالى: {وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾} [الأنفال:٤٦].

«ولا يضُرُّه كيدُ الكائدين، قال تعالى: {وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾} [آل عمران:١٢٠].

قال النبيُّ ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩).



١٠- إذنُ الله بالنصر والتمكين:

لا يستطيعُ أحدٌ مهما كانت قوَّتُه وعُدَّتُه أن يغلبَ أو ينتصرَ إلا بإذنِ اللهِ وفضلِه ورحمتِه وتوفيقِه، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، قال اللهُ تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾} [النحل:٥٣]، وقال تعالى: {وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾} [آل عمران:١٢٦].

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**» وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: «**أَبَيْنَا أَبَيْنَا**»[(١)].

فهؤلاء أصحابُ النبيِّ ﷺ خرجوا مع نبيِّهم ﷺ لمُلاقاة عدُوِّهم في حُنَينٍ، وقد أعجَبَتْهُم كثرتُهم، فقالوا: لن نُغلَبَ اليومَ مِن قِلَّةٍ. فوَكلوا أنفسَهم إلى كثرتِهم وعِدَّتِهم، فوكَلَهم اللهُ إلى أنفسِهم، فلم تُغْنِ عنهم شيئًا، وهُزِموا وتفرَّقوا، وضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ، وولَّوا مُدبِرين، فلما ندِموا وعلِموا أنه لا حولَ ولا قوةَ إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).



بالله، وأنه لا نصرَ لهم إلا بإذنه، عادوا متوكِّلينَ على اللهِ وحدَه، خاضِعِينَ له، ذلِيلِينَ لعظمتِه، راجينَ مَعونَتَه ونصرَه وتأييدَه، فنصَرَهم اللهُ بإذنِه وفضلِه وجُودِه وإنعامِه.

فلا بدَّ من إذن الله بالنصر، قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾} [التوبة:٢٥- ٢٦].

وقال: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [البقرة:٢٤٩].

وقال: {فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾} [الأنفال:٦٦]، وقال سبحانه: {وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾} [آل عمران:١٢٦].



١١- الإكثار من ذِكرِ اللهِ في السلم والحرب:

ذكرُ اللهِ طمأنينةٌ للقلبِ، وسكينةٌ للنفسِ، وقوةٌ للبدنِ، وقوةٌ على الأعداءِ من شياطين الإنسِ والجنِّ، قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [الأحزاب:٤١،٤٢]، وقال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد:٢٨].

وقد أمر اللهُ بالإكثارِ مِن ذكرِه وقتَ لقاءِ العدُوِّ؛ لأنَّه من أعظمِ أسبابِ القوةِ والثباتِ، ومن أعظمِ أسبابِ النصرِ على العدوِّ، فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾} [الأنفال:٤٥]؛ أي: إن أكثَرْتُم مِن ذكرِ اللهِ وقتَ لقاءِ عدُوِّكم فحَتْمًا سينصُرُكم اللهُ تعالى.

ولذلك كان النبيُّ ﷺ وهو في أرضِ المعركةِ في أثناءِ القتالِ يُكثِر الذِّكرَ والدُّعاءَ والاستغاثةَ باللهِ والضراعةِ إليه، وهذا ثابتٌ من سِيرته العَطِرةِ ﷺ.



١٢- الدعاء والاستغاثة بالله تعالى بالنصر على الأعداء:

الدعاءُ سلاحُ المؤمنِ، ولا يرُدُّ اللهُ عبدًا دعاه، قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[1].

وقال: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} [النمل:٦٢]، وقال سبحانه وتعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [غافر:٦٠].

فمِن أعظمِ وسائل كشفِ الضُّرِّ والبلاء عن الناسِ والنصرِ على العدُوِّ الاستغاثةُ باللهِ بالذِّكرِ والدعاءِ والاستغفارِ والضراعةِ إليه بالتوحيدِ، قال اللهُ تعالى مُثْنِيًا على النبيِّ ﷺ وأصحابِه يومَ بدرٍ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ

---

[1] أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦).



قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾} [الأنفال:٩-١١].

لمَّا استغاثوا ربَّهم أغاثَهم بعدةِ أمور:

١ - أمَدَّهم بألفٍ من الملائكةِ مردفين، يردُف بعضُهم بعضًا.

٢- بشَّرهم بالنصر.   ٣- طَمْأنَ قلوبَهم.

٤- أنزَلَ عليهم نُعاسًا يُذهِبُ ما في قلوبِهم من الخوفِ والوجلِ، يكونُ أَمَنةً لهم وعلامةً على النَّصرِ والطُّمأْنينة.

٥- أنزل عليهم مَطَرًا يُطهِّرُهم من الحدَث والخَبَثِ ووساوسِ الشيطانِ ورِجْزِه.

٦- ربط على قلوبِهم فثبَّتها، وثبَّت أقدامَهم، وكانت الأرضُ سهلةً، فلمَّا نزلَ عليها المطرُ تَلبَّدَتْ وتماسكَت، وثَبَتَتْ بها الأقدامُ، وازدادت قوةً وثباتًا على قتالِ الأعداءِ.





٧- أوحى اللهُ للملائكةِ أنَّه سبحانه معَهم بمعيَّتِه الخاصَّةِ بالنصرِ والتأييدِ.

٨- تثبيتُ الملائكةِ للمؤمنين، بإلهامِهم الطمأنينةَ والجُرأةَ على العدوِّ والترغيب في الجهادِ وفضلِه.

٩- ألقى في قلوبِ الذين كفَروا الرُّعبَ ومَكَّن المؤمنينَ والملائِكةَ مِن رقابِهم، فضَربوا منهم فوقَ الأعناقِ وضَربوا منهم كلَّ بنان[١].

وقد أثنى اللهُ تعالى على الأنبياءِ السابقين وأتباعِهم أنهم كانوا عند قتالِ عدوِّهم لم يضعفوا ولم يستكينوا، فكانوا صُبُرًا عند اللقاء، وكانوا يُكثِرون التوبةَ والاستغفارَ من الذنوبِ والمعاصي التي تكون سببًا في الهزيمة، وكانوا يدعون ربَّهم، ويستغيثون به كي يثبِّتَ أقدامَهم، وينصُرَهم على القومِ الكافرين، فاستجابَ لهم ربُّهم وآتاهم ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة، فجمَعَ لهم الخَيْرينِ بفضلِه وكرمِه.

---

[١] السعدي (ص٣١٦).



قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٤٨﴾ [آل عمران ١٤٦-١٤٨].

وخيرُ الهُدَى هُدَى محمدٍ ﷺ، فقد كان في أرضِ المعركةِ يُكْثِرُ اللجوءَ والضَّراعةَ والدُّعاءَ والاستغاثةَ باللهِ تعالى بإنزالِ نصرِه على المؤمنين وهزيمةِ الكافرين، ومن ذلك:

الدعاء في غزوة بدرٍ: لمَّا نظَّم صفوفَ جيشِه، وأصدرَ أوامرَه لهم وحرَّضَهم على القتالِ، رجع إلى العَريشِ الذي بُنِيَ له، ومعه أبو بكرٍ وسعدُ بنُ معاذٍ لِحِراستِه، وتوجَّهَ إلى ربِّه يدعوه، ويستغيثُ به، ويُناشِدُه النصرَ الذي وعَدَه، ويقولُ في دعائه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**». فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ

مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ[1].

وفي رواية ابن عباس عند البخاري قال: قال النبي ﷺ يوم بدر وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بيدِه فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ فَخَرَجَ ﷺ وَهُوَ يقولُ: {سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾} [القمر: ٤٥][2].

وروى ابن إسحاق في سيرتِه أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا تُحَاوِلُ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ،**

---

[1] أخرجه مسلم (١٧٦٣).

[2] أخرجه البخاري (٢٩١٥، ٤٨٧٥).

اللَّهُمَّ، فَنَصْرُكَ الَّذِي وَعَدتَّنِي»[١].

وبعد أنِ استغاثَ ودعا خرج منَ العَريشِ، فأخذَ قبضةً من التُّرابِ، وحَصَبَ بها وجوهَ المشرِكين، وقال: «**شَاهَتْ الْوُجُوهُ**»، ثم أمرَ أصحابَه أن يَشُنُّوا الحَمْلةَ على إثرِها، ففعلوا، فأوصلَ الله تعالى تلك الحَصْباءَ إلى أعيُنِ المشركين، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلا نالَه منها ما شغلَه عن حالِه، ولهذا قال الله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾} [الأنفال:١٧].

وكان النصرُ المبينُ من اللهِ تعالى في يومِ الفرقانِ الذي فرَّق اللهُ تعالى فيه بينَ الحقِّ والباطِلِ.

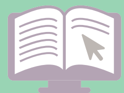
الدعاء في غزوة أُحُدٍ: بعد نهاية الغزوة صلى رسولُ الله ﷺ بأصحابه الظهرَ قاعدًا لكثرة ما نزف من دمِه، وصلى وراءَه المسلمون قُعودًا، ثم تَوَجَّه إلى اللهِ بالدعاءِ والثناءِ على ما نالَهم من الجَهدِ والبلاءِ، وقال لأصحابه: «**اسْتَوُوا حتَّى أُثْنِيَ على ربِّي** ﷻ»،

---

[١] انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ١٨٣).



فصاروا خلفه صُفوفًا، ثم دعا بهذه الكلماتِ الدالَّةِ على عُمقِ الإيمانِ والثقةِ في نصرِ اللهِ تعالى فيما هو آتٍ، فقال: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدتَّ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحولُ ولا يَزولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْحَرْبِ، اللَّهُمَّ عَائِذًا بِكَ مِنْ سُوءِ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ مِنَّا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الذي يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ**».





ثم ركب فرسَه ورجع إلى المدينة[١].

فالدعاءُ مطلوبٌ في ساعةِ النصرِ ولقاء العدُوِّ، وفي ساعة الهزيمة كي يكونَ النصرُ بعدَ ذلك للمسلمين، وهو أقوى الأسباب في دفع المكروه وجلب المطلوب، ويُعلِّقُ القلوبَ بخالقها سبحانه وتعالى.

الدعاء في غزوة الأحزاب:

اجتمع الكفارُ من قريشٍ وثَقيفٍ وغَطَفانَ، وكانوا أكثرَ من عشَرةِ آلاف مقاتلٍ، من اليهود الخَوَنة والمنافقين للفتكِ بالإسلام والمسلمين والمدينة وأهلها والقضاء على النبي ﷺ، وكان المسلمون في شدَّةٍ من الخوف حتى صوَّر الله حالَهم فقال: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾} [الأحزاب: ١١].

---

[١] أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٧٠)، وأحمد (١٥٤٩٢). وانظر: غزوات الرسول د/ الصلابي ص ١٢٤.





فتوجَّه الصحابةُ إلى رسول الله ﷺ وقالوا: هل من شيءٍ نقوله؟ فقد بلَغتِ القلوبُ الحناجِرَ، فقال النبي ﷺ: «**نعَمْ، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا**»[(١)].

وعن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى، قال: دعا رسولُ اللهِ ﷺ على الأحزابِ فقال: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهزِمِ الْأَحزابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»[(٢)].

فاستجاب اللهُ دعاءَه، وأرسلَ عليهم جنودًا لم يرَوْها، وأرسلَ عليهِم ريحًا باردةً اقتلعَتْ خِيامَهُم، وألقَى الرُّعْبَ والخوفَ والهَلَعَ في قلوبِهم، وولَّوا مُدبِرينَ مقهورينَ مغلوبينَ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩].

وكان هذا النصرُ بمحضِ فضلٍ وتوفيقٍ منَ اللهِ، بعدَ الأخذِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٣، ٤١١٥).



بأسبابِه بإعدادِ ما استَطَعْنا من قوةٍ، والتزامِ الدعاءِ والضَّراعةِ، والإخلاصِ للهِ، فكلُّ وسائلِ القوةِ لا تُجدي بدونِ التضرُّعِ إلى اللهِ والتوكلِ عليه وحدَه.

الدعاء في غزوة حُنَينٍ:

بعد أن حصلت هزيمةُ المسلمين في أولِ المعركةِ، وقفَ النبيُّ ﷺ ثابتًا وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب**». وأمرَ ﷺ العبَّاسَ رضي الله عنه أن يُنادِيَ المسلمين ويقول: يا أصحابَ السَّمُرَةِ. حتى اجتمَع عليه المسلمون، وتقدَّمَ النبيُّ ﷺ إلى العدُوِّ بنفسِه في مقدِّمةِ الصُّفوفِ وأخذَ حَصَيَاتٍ فرمى بها في وجوهِ المشركين، وقال: «**انْهَزَمُوا، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»[1]، واستغاثَ ﷺ باللهِ تعالى، وألحَّ عليه في الدعاءِ، حتى نزلَ النصرُ المبينُ من اللهِ تعالى، وغَنِم المسلمون غنائمَ عظيمةً، وسَبَوا سبيًا كَثيرًا، وكان من دعاء النبيِّ ﷺ في حُنينٍ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا**

[1] أخرجه مسلم (١٧٧٥).

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[(١)].

قال تعالى: {لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٦} [التوبة:٢٥- ٢٦].

١٣- التوكُّلُ على اللهِ تعالى وحدَه:

لا نصرَ إلا مِن اللهِ، ولا نصرَ إلا بمشيئةِ اللهِ وإذنِه، ولا حولَ ولا قوةَ ولا قدرةَ للمسلمين على عدُوِّهم إلا بحولِ اللهِ وقوَّتِه وقدرتِه ونصرِه وفضلِه ورحمتِه، قال تعالى: {إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠} [آل عمران:١٦٠].

ولكي ينتصرَ المسلمون لا بدَّ أن يتوكَّلوا على اللهِ وحدَه في

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٣٨، ١٨٩٤٠).



جلبِ النصرِ ودفعِ الهزيمةِ، والتوكلُ على اللهِ معناه التبَرُّؤُ من كلِّ حولٍ وقوةٍ وعددٍ وعُدَّةٍ إلى حولِ اللهِ وقوَّتِهِ ورحمتِه ونُصرتِه، فأصلُ التوكُّلِ هو الاعتمادُ على اللهِ وحدَه في جلبِ المطلوبِ ودفعِ المرهوبِ، مع الأخذِ بالأسبابِ المشروعةِ لذلك وتركِ النتيجةِ على اللهِ تعالى.

وكان النبيُّ ﷺ يقولُ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ كَنزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ**»[٢].

فلن ينالَ العبدُ الحولَ ولا القوةَ ولا خيرَ الدنيا والآخرةِ إلا بالتبرؤِ من حولِ نفسِه وقوتِه.

ولمَّا توكلَ المسلمون على قوَّتِهم وعددِهم وكثرتِهم في غزوةِ حنينٍ، وقالوا لن نُغلَبَ اليومَ من قلةٍ، وكَلَهم اللهُ إلى عددِهم وعُدَّتِهم، فهُزِموا وولَّوا مدبرين، ولما فاؤوا ورجعوا إلى اللهِ

---

[١] أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، والحاكم (٢٠٥٢).

[٢] أخرجه البخاري (٦٣٨٤، ٧٣٨٦).



وتبرؤوا من حولِهم وقوَّتِهم وعددِهم وعُدَّتِهم، وأنه لا نصرَ إلا من عندِ اللهِ، واعتمدوا على اللهِ وحدَه، وتوكَّلوا عليه سبحانه وتعالى وحدَه، وأخذوا بالأسبابِ؛ نصرَهم اللهُ نصرًا مؤزَّرًا وفتحَ عليهم فتحًا مبينًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة:٢٥- ٢٦].

روى الإمامُ أحمدُ بسندٍ صحيحٍ على شرطِ الشيخينِ عن صُهيبٍ الروميِّ، أن النبيَّ ﷺ كان يصلى بِهم الفجرَ في أيامِ حُنَينٍ، وبعد فراغِه من الصلاةِ يُتَمتِمُ بكلماتٍ، ففطِنَ الصحابةُ له، فقالوا: يا رسولَ الله، نراك تتمتمُ بكلماتٍ، فماذا تقولُ؟ قال: «أَفَطِنْتُمْ لِذَلِكَ؟». قالوا: نعم. قال ﷺ: «ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ أَمْ يَقُومُ لَهُمْ؟ فَقِيلَ لَهُ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ أَبْسُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا،

فقَالَ فِي صَلاتِهِ، وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فقَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ، فَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَاتَ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَالَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: رَبِّي بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(١)].

وفي لفظٍ آخرَ: «إِنِّي ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنِ اخْتَرْ لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوِ الْجُوعَ أَوِ الْمَوْتَ فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ خِرْ لَنَا فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ فصلى»[(٢)].

أي: أن هذا النبيَّ أُعجِب بكثرةِ جنودِه وظنَّ أنه لا يقدِرُ أحدٌ عليهم؛ لكثرتِهم وقوَّتِهم، ابتلاه اللهُ ﷻ فيهِم بموتِ سبعين ألفًا منهُم؛ لأنه لا نصرَ ولا قوةَ إلا بالله الواحدِ القهار، وليس بكثرةِ الجندِ،ولا لكثرةِ العتاد، فال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران:١٢٦].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٧٥)، وأحمد (١٨٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٩٧٥).

وقال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق:٣].

فالتوكلُ على اللهِ وحدَه، والرُّكونُ إلى رحمتِه، وحسنُ الظنِّ به: مِن أسبابِ النصرِ على الأعداء، وها هم بنو إسرائيلَ يَجبُنُونَ عن لقاءِ العدُوِّ حينما أمَرَهم نبيُّهم موسى عليه السلام بالجهاد وفتحِ الأرضِ المقدسةِ، فكان ردُّهم أن قالوا: {يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾} [المائدة:٢٢]، وقالوا أيضًا: {يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾} [المائدة:٢٤].

فقال المخلصون الصابرون الصالحون منهم لقومهم: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾} [المائدة:٢٣]؛ فالتوكلُ صفةُ المؤمنين المخلصين الصابرين المنصورين أتباعِ الأنبياء.

١٤- الحكمة في الجهاد وإدارة الحرب:

الحكمةُ: هي وضعُ الشيءِ في محلِّه.

والحِكمةُ حكمتان: علميةٌ، وعمليةٌ.

فالحِكمةُ هي الرُّشدُ والفهمُ الصحيحُ والتصرفُ الحسنُ الحكيمُ والعلمُ النافعُ والعملُ الصالحُ ولزومُ منهجِ الأنبياءِ في الدعوةِ إلى اللهِ والجهادِ في سبيلِه.

والحكمةُ هِبةٌ من اللهِ للعبدِ: {يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾} [البقرة:٢٦٩].

وجهادُ الأعداءِ لا بدَّ أن يكونَ محفوفًا بالحكمةِ البالغةِ والعقلِ الرشيدِ، أما العاطِفةُ أو التهوُّرُ في الجِهادِ ومحارَبةِ الأعداءِ فإنها لا تأتي بخيرٍ، وللحكمةِ مظاهرُ كثيرةٌ، نذكُرُ منها ما يلي:

١- **الحِكمةُ من مشروعيةِ الجهاد**؛ فالجهادُ شُرِع دفاعًا عن المظلومين المؤمنين، وحمايةً للدعوةِ؛ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا.



والحكمةُ في مراحلِ تشريع الجهاد: مرَّ الجهادُ بأربعِ مراحلَ، هي:

الأولى: العهدُ المكيُّ؛ حيث أمرَ اللهُ فيه بالصَّبرِ، ولم يأذَنْ بجهادِ الكفارِ؛ لأنه زمنُ استضعافٍ، فلم يُفرَض فيها جهادٌ ولم يؤذَنْ به.

الثانية: العهدُ المدنيُّ؛ ففي السنةِ الثانيةِ أُذِنَ بالجهادِ؛ لدفعِ الأذى، قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩} [الحج:٣٩].

الثالثة: قتالُ المعتدين؛ قال تعالى: {وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠} [البقرة:١٩٠]، وقال: {فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤} [البقرة:١٩٤].

الرابعة: الأمرُ العامُّ بجهاد الكفار جهادَ الطلب؛ للدعوة إلى الإسلام أو الجِزية، وإلا فالحربُ والقتال حتى لا تكون فتنةٌ،



ويكونَ الدِّينُ كلُّه لله؛ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩} [التحريم:٩].

وقال تعالى: {وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦} [التوبة:٣٦].

٢- الشُّورى والتأني والرجوعُ لأهلِ الخبرةِ في كلِّ أمرٍ أو فنٍّ من فنونِ الحرب والقتال، فما خابَ مَن استخار، وما ندِمَ من استشار، وكان النبيُّ ﷺ في أغلبِ غزواتِه وحروبِه يشاورُ الصحابةَ، ويأخذُ بالقول الراجحِ حسبَ ما تقتضيه مصلحة المسلمين، ومن ذلك:

- مشورتُه لأصحابِه في غزوةِ بدرٍ: شاور المهاجرين في لقاءِ العدوِّ للقتالِ بعد نجاةِ قافلةِ أبي سفيان، فأجمعَ سادةُ المهاجرين على التقدُّمِ للحرب؛ حتى قال المِقدادُ بنُ الأسود: يا رسولَ اللهِ، لا نقولُ لكَ كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: {اذهبْ أنتَ وربُّك

فقاتِلا إنا ها هنا قاعِدون}، ولكنِ امضِ ونحنُ معَك[١].

ثم شاورَ الأنصارَ، فقال سعدُ بنُ معاذ سيدُ الأنصارِ: امضِ يا رسولَ الله لِما أردتَّ، فوالذي بعثكَ بالحقِّ لو استعرَضْتَ بِنا هذا البحرَ فخُضْتَه لَخُضْناهُ معَك، ما تخلَّفَ منا رجلٌ واحدٌ، وما نكرهُ أن تَلقى بنا عدوَّنا غدًا، إنا لَصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ عندَ اللقاء، ولعلَّ اللهَ يُريك منا ما تقرُّ بِهِ عينُكَ، فَسِرْ بنا على بركةِ الله.

فقال النبي ﷺ: «**سِيرُوا وأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ تعالى قد وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، واللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ**»[٢].

- وكذلك أخذ بمَشُورةِ الحُبابِ بنِ المنذرِ في اختيارِ موقعِ المعركة، واختيارِ مكانٍ لا يتمَكَّنُ فيه المشركون مِنَ الوصولِ للماءِ، فلا يجِدون ما يَشرَبون.

وكذلك في الأسرى أخذَ بمَشُورةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه في قبولِ الفِداءِ.

- مشورتُه لِأصحابِه في غزوةِ أُحُدٍ: هل يبقى في المدينة لملاقاة

---

[١] أخرجه البخاري (٤٦٠٩).

[٢] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٤).

أعدائه إذا دخلوها، أم يخرج إليهم فيلقاهم عند أُحُدٍ؟ ثم أخذَ برأيِ الخروجِ؛ لِما فيه من المصلحةِ للمدينةِ وأهلِها.

- في غزوة الأحزابِ أخذ بمشورةِ سلمانَ الفارسيِّ ﵁ بحفرِ الخندق.

وكلُّ ذلك امتثالٌ لأمرِ اللهِ تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران:١٥٩].

٣-الحِكمةُ في السِّرِّيَّة والكِتمانِ أو التَّصريح بِوجهةِ الحربِ:

فكان غالبُ أحوالِ النبيِّ ﷺ أنه إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرِها، حتى يُعمِّيَ الخبرَ على الجواسيسِ من انتشارِ أمرِه وخبرِه، وأحيانًا كان يُصرِّح بوجهتِه للغزو؛ لكي تستعدَّ الجنودُ ماديًّا ومعنويًّا للمشقَّةِ الحاصلةِ، كما حدثَ في غزوةِ تبوكَ.

٤- **ومن الحِكمةِ الحذرُ من الكفَّار:** {وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۖ}، وعدمُ اتخاذِهم بِطانةً، {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ

أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾} [آل عمران:١١٨].

وعدمُ الاستعانةِ بالمشركين في الحربِ؛ لقول النبيِّ ﷺ لما جاءه مشركٌ ليُحاربَ معه: «**إنَّا لا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ**»[١]، واستعمالُ الثقاتِ المأمونين منهم أحيانًا في قضاءِ بعضِ المصالح، كما استعمل النبيُّ عبدَ الله بنَ أُرَيقِطَ في هجرتِه للمدينة.

٥- **الحِكمةُ في عقدِ المعاهداتِ والهُدنةِ والصلحِ مع الكفارِ إذا كان فيها مصلحةٌ للمسلمين**، كما عاهد النبيُّ ﷺ اليهودَ والمشركين، وعقدَ معاهدةَ صُلحِ الحُدَيبيةِ وغير ذلك، قال تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾} [الأنفال:٦١].

٦- ومن الحِكمةِ الخَدْعةُ في الحرب؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**الحَرْبُ خَدْعَةٌ**»[٢]؛ للكيدِ والنِّكايةِ بالكافرين، كالتحرُّفِ للقتالِ أو التحيُّزِ

---

[١] أخرجه أبو داود (٢٧٣٢)، والنسائي في الكبرى (٨٧٠٧).

[٢] أخرجه البخاري (٣٠٢٩).



إلى فئةٍ أُخرى في القتالِ والقعودِ لهم بكلِّ مرصَدٍ، قال تعالى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾} [الأنفال:١٦].

٧- **ومن الحكمة مجاهدةُ كلِّ كافرٍ ومعتدٍ بما يناسبه**، فالغزوُ الفكريُّ له طرقُ صَدِّه والردُ عليه وإبطالُه، والغزوُ العسكريُّ له طرقُ مجاهدتِه، وحروبُ الجيلِ الرابعِ لها طرُقُها في الردِّ عليها وإبطالِها.

٨- **ومن الحكمةِ في الجهادِ تحديدُ الوقتِ المناسبِ للقتالِ** والرفقُ بالجنودِ المقاتلين كما حصل في بعضِ مغازي رسولِ اللهِ ﷺ كما رواه عبد الله بن أبي أوفى: أن النبيَّ ﷺ انتظر حتى مالت الشمسُ- أي: انكسرت شدةُ الحرِّ- ثم قام خطيبًا في أصحابه قائلًا: «**أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، ثُمَّ



قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»[١].

٩- ومن الحِكمة في الجهاد تنقيةُ صفوفِ المجاهدين من الخَوَنة والمنافقين والمُخَذِّلين، قال تعالى: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾} [التوبة:٤٧].

وقال سبحانه: {۞لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾} [الأحزاب:٦٠-٦٢].

كما فعل طالوتُ بجنوده؛ إذ قال لهم: {إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ

[١] أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٣٠٢٤)، ومسلم (١٧٤٢).



وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [البقرة:٢٤٩]

فلم يبقَ معه إلا عددٌ قليل حوالي ثلاث مئة وسبعةَ عشَرَ كعِدَّةِ أهل بدرٍ، وقالوا: {كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [البقرة:٢٤٩]؛ فقال الله تعالى: {فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [البقرة:٢٥١].



١٥ - تقوى الله وحسن الخلق في الحرب والسِّلم مع الأعداء:

الكفار أربعة أقسام:

الأول: مُحارِبون: وهم الذين يقاتلون المسلمين، ويتربَّصون بهِمُ الدَّوائِر.

الثاني: مُستأمَنون: المستأمَنُ: هو الحربيُّ الذي دخل دارَ الإسلامِ بعقدِ أمانٍ (تأشيرة) دونَ نيةِ الاستيطانِ بِها.

الثالث: معاهَدون، والمعاهَد: هو الذي له عهدٌ مع المسلمين، إما بأمانٍ من مسلمٍ، أو هُدنةٍ من حاكمٍ أو عَقدِ جِزية.

الرابع: ذِمِّيُّون: والذِّمِّيُّ هو المعاهَدُ الذي أُعطِيَ عهدًا يأمَنُ به على مالِه وعِرضِه ودينِه.

المحارِب فقط هو الذي يجوزُ قِتالُه، وأمَّا غيرُه فلا يجوز قتالُه؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ [التوبة:٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾} [التوبة:٦].

وقد أمر اللهُ ﷻ بِحُسنِ معاملةِ المشركين غيرِ المُحارِبين وبِرِّهِم والعدلَ معَهم، فقال تعالى: {لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة:٨].

وأما حُسنُ الخُلُقِ وتقوى اللهِ مع المُشرِك المحارِبِ فقال اللهُ تعالى فيه: {وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾} [البقرة:١٩٠].

فلا نُقاتِلُ إلا مَن قاتَلَنا، ولو قاتَلْناه لا نُجاوِزُ الحَدَّ بالاعتداء.

عن بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيبِ ﵁، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميرًا على جيشٍ أو سَرِيةٍ أوصاه في خاصَّتِه بتقوى الله، ومَن مَعَه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ

إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»[1].

---

[1] أخرجه مسلم (١٧٣١).

فمِن أخلاقِ الإسلامِ في الحربِ مع العدُوِّ ألَّا نُقاتِلَ إلا مَن حَمَل علينا السِّلاحَ، فلا نقتُلُ طِفلًا صغيرًا ولا رَضِيعًا ولا صَبيًّا لا يحمِلُ السلاحَ، ولا امرأةً لا تحمِلُ السلاحَ، ولا شيخًا كبيرًا، ولا نقطَعُ شجرًا ونحوَ ذلك، وحتى مَن قتَلْناه منهم لِقِتالِه لنا لا يجوزُ لنا أن نُمثِّلَ بِجُثَّتِه بالتَّمزيقِ أوِ الإحراقِ ونحو ذلك.

لأن الإسلامَ حرَّم الظلمَ والاعتداءَ بغيرِ حقٍّ، حتى مع الأعداء.

١٦- المحافظة على الصلوات الخمس في السِّلم والحرب:

فالصلاةُ عمادُ الدين، مَن أقامَها فقد أقامَ الدِّين، ومَن هَدَمَها فقد هدمَ الدِّينَ؛ لأنها أصلٌ عظيمٌ ورُكنٌ رَكين من أركانِ الدين، فمن ضيَّعَها فهو لِما سِواها أضيَعُ، ولذلك أمرَ اللهُ تعالى بالمحافظةِ على أدائها في أوقاتها المشروعةِ وبكيفيَّتِها المأمورِ بها بإخلاصٍ وخشوعٍ للهِ ربِّ العالمين، قال تعالى: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾} [البقرة:٢٣٨]، وقال تعالى:



{فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾} [البقرة:٢٣٩].

وقال سبحانه وتعالى: {وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾} [البقرة:٤٥]، وقال سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾} [البقرة:١٥٣].

ولذلك شرع اللهُ صلاةَ الخوفِ في الحربِ بالكيفيةِ التي بيَّنها اللهُ في القرآن الكريم، فنصلي رجالًا؛ أي: قيامًا على أرجُلِنا، أو رُكبانًا؛ أي: ونحن راكبون دوابَّ الحربِ من الخُيولِ أو العَرَباتِ أو الدَّباباتِ أو الطائراتِ... إلخ.

قال سبحانه وتعالى: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا



جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾} [النساء:١٠٢].

وقد شُرِعت هذه الصلاةُ في غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ، وكانت بعد غزوةِ الأحزاب، ووجوبُ الصلاة في جماعةٍ وقتَ الحرب يدلُّ على أهميةِ وعظمةِ هذه الشَّعيرةِ من شعائرِ الإسلام، والمحافظةُ عليها دليلٌ على التقوى والصَّلاحِ الموجب لحبِّ اللهِ لعبادِه المؤمنين ونصرتِه لهم على الكافرين.

وقد قدَّم اللهُ صفاتِ المؤمنين المستحقِّين للنصرِ قبلَ الحديثِ عن غزوةِ بدرٍ في سورةِ الأنفال؛ لبيان أنهم إذا قاموا بهذه الأعمالِ واتَّصفوا بهذه الصفاتِ كانوا جديرين بنصرِ اللهِ لهم على أعدائِهم، قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾} [الأنفال:٢-٤].

١٧-من أسبابِ النصرِ والتمكينِ اجتنابُ محارمِ اللهِ من الذنوبِ والمعاصي؛ كبيرِها وصغيرِها، سواءٌ كانت هذه المعصيةُ شِركًا أو كُفرًا أو بِدعةً أو كَبيرةً أو صغِيرةً؛ وذلك لأن الذنوبَ والمعاصيَ سببُ الهزيمةِ وسببُ زوالِ الدُّولِ وهلاكِ الأمم، قال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت:٤٠]، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾} [الشورى:٣٠]، وقال سبحانه وتعالى: {ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾} [الروم:٤١].

وقال اللهُ تعالى: {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾} [الإسراء:١٦].

وقال تعالى: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ



لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [النحل:١١٢].

وقال النبيُّ ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»[١]، وقال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[٢].

وهؤلاء الصحابةُ الكرامُ خيرُ هذه الأمَّةِ بعد نبيِّها ﷺ، ففي غزوةِ أُحُدٍ، والنبيُّ ﷺ بين أظْهُرِهم، وقد أمَرَ ﷺ الرُّماةَ ألَّا ينزلوا من فوقِ الجبل، حتى ولو تخطَّفتِ المسلمين الطيرُ، فانتصروا في أولِ المعركةِ وانهزم الكفارُ وولَّوا مدبرين، وتركوا الغنائمَ، ففرِح الرُّماةُ بالنصرِ وتعجَّلوا، ونزلوا من فوقِ الجبلِ، تاركين أماكنَهم مخالفين بذلك أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فتحوَّل النصرُ إلى هزيمةٍ، وصرَخَ الشيطانُ في المشركين، وجعلهم يجتمِعون ويُعيدوا الكرَّةَ على المسلمين من خلفِ ظهرِهم، فانهزم المسلمون، وقُتِل من خيارِهم

---

[١] أخرجه أحمد (٥٦٦٧).

[٢] أخرجه أبو داود (٣٤٦٢).





سبعون، وجُرِح النبيُّ ﷺ، وشُجَّتْ رأسُهُ الشريفةُ، وكُسِرت رَباعِيَتُهُ، وكان ما كان من جِراحٍ في المسلمين، بشؤمِ المخالفةِ لأمرٍ واحدٍ من أوامرِه ﷺ.

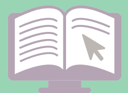
فما بالُنا نحن وقد خالَفْنا أوامرَ كثيرةً للهِ ورسولِه، واللهُ جلَّ وعلا يقول: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} [النور:٦٣]؛ أي: فلْيَحذَرِ الذين يخالفونَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ أن تنزلَ بهم مِحنةٌ وشرٌّ، أو يصيبَهم عذابٌ مؤلمٌ موجِعٌ في الآخِرةِ.

والناظرُ اليومَ إلى أحوالِ المسلمين يرى أنَّ اللهَ تعالى قد ابتلاهم بالمِحنِ وتمكينِ الأعداءِ منهم، وما كان ذلك إلا بِشُؤمِ ذنوبِهم ومعاصيهم وانحرافِهم عن منهجِ اللهِ ورسولِه وعن الفطرةِ التي فطرَ اللهُ الناسَ علَيها.

وحتى يرفَعَ اللهُ تعالى هذه المِحَنَ وهذا العذابَ والكَرْبَ عن المسلمين لا بدَّ أن يتوبوا إلى اللهِ ﷻ، وأن يرجِعوا إلى دينِهم، فإن فعلوا تابَ اللهُ عليهِم، وأعزَّهم ورفعَهم على أعدائِهم.



وقال سبحانه وتعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [النور: ٥٥].



مسألة: هل الإسلامُ مسؤولٌ عن تَخلُّفِ المسلمين؟ أو: هل سوءُ أحوالِ المسلمين دليلٌ على عدمِ صحَّةِ دينِهِم؟

والجواب في عدة نقاط:

١- الحكمُ على دِينِ الإسلام دينِ محمَّدٍ ﷺ من خلال سلوكِ بعض أبنائِه تحيُّزٌ إلى غيرِ الحق، وخضوعٌ للهوى الشخصي؛ لأنه يجبُ أن ينظرَ الناظرُ إلى هذا الدينِ، بمَ يأمرُ؟ وعمَّ ينهى؟ فهل الدينُ أمرَ أتباعَه بسوءِ الأخلاقِ وارتكابِ الجهالات أم نهاهم عن ذلك؟

فالإسلامُ أمرَ بكلِّ خيرٍ، ونهى عن كلِّ شرٍّ، فإذا خالفَ بعضُ أتباعِه بعضَ تعاليمِه فالعيبُ فيهِم وليس فيه، وسوءُ حالِ هؤلاءِ نتيجةٌ حتميةٌ وعقوبةٌ ربانيةٌ بسببِ مخالفتِهم لهذا الدينِ.

٢- الناظرُ إلى بلادِ النصارى- وبخاصةٍ في بلادِ الغربِ- يرى فيها قمةَ الفسادِ والانحلالِ الأخلاقيِّ والسياسيِّ والقانونيِّ والقضائيِّ، مع أنهم وضعوا مبادئَ مثاليةً للنظامِ، كمبادئِ الثورةِ

الفَرَنسيةِ وغيرِها، وهم مع ذلك مِن أَحَطِّ الناسِ سُلوكًا وأخلاقًا مُخالِفينَ المبادئَ التي نظمَوها، فهل الفسادُ فيهِم أم في المبادئِ؟

والعجيبُ في هؤلاءِ النصارى أنهم يَعيبون سلوكَ بعضِ المسلمين، وهم أنفسُهم قد نصَّت كتبُهم المحرَّفةُ على فسادِ أنبيائِهم وارتكابِهم الفواحشَ كداودَ ولوطٍ وشمشون، وغيرِهم حسبَ كُتُبِهم ومعتقدِهم.

ونحن نُبَرِّئُ أنبياءَ اللهِ جميعًا من كلِّ فاحشةٍ وسوءٍ.

فإذا كان هذا حالَ أنبيائِهم- حسَبَ معتقدِهم الفاسدِ- فلماذا يعيبونَ سوءَ أحوالِ المسلمين!

٣- إذا كان لا بدَّ من اتخاذِ واقعِ المسلمين دليلًا على صِحَّةِ دينِهم من عدمه، فيجب على مُريدِ ذلك أن ينظرَ إلى واقع المسلمين وحضارتِهم في عصورِهم الزاهيةِ، وكيف أن دولَ الغربِ أخَذتْ علومَها، وكوَّنت حضارَتَها من علومِ وعلماءِ المسلمين بالمنافذِ الستةِ المعروفةِ، وهي:

التجارةُ، والحروبُ الصليبية، والكُتُب التي تُرجِمت من العربيةِ إلى اللاتينيةِ، والزياراتُ التي قام بها العلماءُ إلى الأندلسِ وغيرِها من بلادِ المسلمين، والشبابُ النصارى المبعوثون إلى بلاد المسلمين؛ ليتربوا فيها، والاتصالُ الدائمُ بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشامِ ومصرَ وصِقلِّية وأسبانيا وغيرِ ذلك.

٥- سوءُ حالِ المسلمين وتأخُّرُهم هو عقوبةٌ لهم من اللهِ بسببِ مخالفتِهم لدينِهم، قال الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} [النور:٦٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ عَلَى مَن خالَفَ أَمْرِي»[1].

٦- قال نبيُّ الإسلامِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ»[2]، وفي القرآن: {۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [النحل:٩٠].

---

[1] أخرجه أحمد (٥٦٦٧).

[2] انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٢).

وذكَرَ الوصايا العشرَ في آخرِ سورةِ الأنعامِ الآيات: (١٥١-١٥٣)، ووصايا لقمان، وسورةِ الحُجُراتِ والنورِ، وكلُّها تربيةٌ أخلاقيةٌ.

٧- مقصِدُ أخلاقِ الإسلامِ ليس لتحقيقِ اللَّذةِ والمنفعةِ كما يرى غيرُهم، وإنَّما لتحقيقِ الجمالِ في النفسِ والفكرِ والجسمِ، والكمالِ في ذلك كلِّه، والسعيُ في شوقٍ إلى اللهِ: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩} [الإنسان:٩].

٨- أخلاقُ الإسلامِ إنسانيةٌ عالميةٌ بخلافِ أخلاقِ اليهودِ والنصارى، فإنها أخلاقٌ قوميةٌ عصبيةٌ خصوصيةٌ، مثل: (لا تشهَد على قريبِك - لا تُقْرِض أخاك بِربًا) تقرِضُ برِبا للأجنبي فقط.

٩- ماذا عن مجتمعِ النصارى وبخاصةٍ في بلادِ الكفر؟

يوجد (تحلُّل قيم المجتمع - وفِقدانُ التراحُمِ - وتحلُّل الأسرةِ - وأطفالٌ غيرُ شرعِيين - وشيوعُ الفواحش - والاغتصابُ - والشذوذُ بين الأكابرِ والأصاغرِ - والخمرُ - والمخدِّراتُ - والقتلُ والعدوانُ والسرِقةُ - وامتهانُ المرأةِ على واجهاتِ

المحِلَّاتِ، وفي الإعلاناتِ)، وغيرِ ذلك، والمرأةُ الغربيةُ لا تعرفُ السعادةَ الأسريةَ، وتفقدُ السَّكَنَ والمودَّةَ والرَّحمةَ التي تتمتَّعُ بها المرأةُ المسلمةُ.

وماذا عن مجتمعِ المسلمين في زمنِ ضعفِهم اليومَ؟ ولا أتكلمُ عن مجتمعِهم في زمنِ مجدِهِم:

- مجتمعٌ يؤمنُ باللهِ الواحدِ الأحدِ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد.

- مجتمعٌ يترابطُ فيه الأقاربُ بالمودةِ والرحمةِ والتكافلِ الاجتماعيِّ والأدبيِّ.

- مجتمعٌ يُفرَضُ فيه على الغنيِّ جزءٌ من مالِه للفقيرِ؛ معونةً له.

- مجتمعٌ تُكرمُ فيه المرأةُ وتُصانُ، لا تُباعُ أنوثتُها باسمِ الحرية.

- مجتمعٌ يُكرَّمُ فيه الكبارُ والمُسِنُّون، ولا يُلقَى بِهِم في دُورِ المسنِّين.

- مجتمعٌ فيه برُّ الوالدين، وصلةُ الأرحامِ، والعطفُ على الأيتام وغيرهم.

- مجتمعٌ لا ترى فيه طالباتِ المدارسِ حواملَ من غيرِ نكِير.

- المسلمون يتَّخذون من العلمِ وسيلةً إلى اللهِ. بخلافِ الغرب.

١٠- يقال: إذا غصَّ بالماء شاربُه، فهل يُذَمُّ الماءُ ويُترَكُ؟

وهكذا الإسلامُ كلُّه نورٌ ورَوحٌ لكلِّ إنسانٍ، فهل يُترَكُ الإسلامُ ويذمُّ لتقصيرِ أهلِه؟! وهل يكونُ الإسلامُ حَكَمًا على المسلمين، أم يكونُ المسلمون حكمًا على الإسلام؟!

١١- حضارةُ أوربا مبنيةٌ وقائمةٌ على حضارةِ المسلمين، بعدَ أن قامَ الأوربيون بحركةِ ترجمةٍ لعلومِ المسلمين في القرنِ الثاني عشَرَ والثالثَ عشرَ.

القرآن الكريمُ يُقدِّرُ العلمَ والعلماءَ، ويحُثُّ على النظرِ في الكونِ ودراستِه وعمارةِ الأرضِ من أولِ نزولِه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: ١].

١٢- الإسلامُ ضِدُّ كلِّ أشكالِ التخلف، والتخلُّفُ الذي يُعانيه المسلمون اليومَ ليس سببُه الإسلامَ، وإنما هو عقوبةٌ مستحَقَّةٌ من



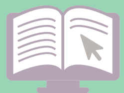
اللهِ لهم؛ لتخلِّيهِم عنه لا لتمسُّكِهم به كما يظُنُّ الجاهلون.

من أسبابِ تخلفِ المسلمين مخلفاتُ عهودِ الاستعمارِ الصليبي واليهوديِ على بلادِ المسلمين، وليس الإسلام.

١٣- تخلُّفُ المسلمين الآن يُعَدُّ مرحلةً من تاريخِهم، ولا يعني أنهم كانوا كذلك منذ البدءِ، ولا يعني أنهم سيظلُّون كذلك إلى نهايةِ التاريخ.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ وسلِّم!

آمينَ آمينَ!





فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة